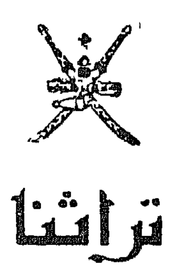
سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة



تراثنا

مسقط في عام ١٦٨٨

(تقارير ورسومات انجلبرت كامبفر)

بقلم
چي . وايزجربر

العدد رقم ٥٧

يوليو لسنة ١٩٨٤

رقم الايداع ٥١٥٦ لســـنة ١٩٨٤

مطــابع سجل العرب

مسـقط فى عـام ١٦٨٨

تقارير ورسومات انجلبرت كامبفر

بقــلم

جى • وايزجربر

يعتبر انجلبرت كامبفر أحد الرحالة القليلين الذين سافروا الى آسـيا فى القرن السابع عشر والذين تركوا ثروة من الوصف والرسومات عن مسقط • الا أن أعمـاله قـد دخلت فى طى النسيان ، وعلاوة على ذلك فان تلك الأعمال قد حـُذِفت من بعض الكتب الجيـدة التوثيق (مثـلا ، بِدويل ، ١٩٧٨) • والهـدف من هـذا المقال هو التعريف بهذه الأعمال •

إن ما يلى هو عبارة عن تلخيص لترجمة عن حياة انجلبرت كامبفر كما ذ ُكرت فى كتابات كلّ من ماير — لجو (١٩٣٧ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٨) وباورز (١٩٦٦) وهينتز (١٩٧٧) • فقـد ولد يوم ١٦ سبتمبر ١٦٥١ فى مدينة لجو بمقاطعة ليبه وهو ابن قسيس بروتستنتى من قساوسة كنيسة نيكولاى •

ولقــد أعــد نفسه لممارسة حياة السفر والترحال وذلك بالدراسة الجادة اذ درس فى مدارس لمجو وهاملن ولونبرج وأخيرا لوبيك • وفى سن السابعة عشر قام برحلة الى هولندة • وأخيرا وفى عام ١٦٧٢ التحق بمدرســة دانزج حيث درس الفلسفة والتاريخ واللغات القديمة والحديثة كما نشر أولى دراساته العلمية • وقام بدراسات اضــافية فى كل من ثورن وكراكو (١٦٧٤ — ١٦٧٦) تبعها بأربعة ســنوات من دراسة الطب والعــلوم الطبيعية فى ونجزبرج • وفى تلك الأوقات كان يكسب قوته من إعطاء الدروس الخصوصية •

وبعد عودته الى بلدته فى عام ١٦٨٠ ، سافر فى العــام التالى الى السويد بأمل أن يتمكن هناك من تحقيق أحلامه فى القيــام بالرحــلات الاستكشافية والتى كان من المســتحيل تحقيقها فى المانيا التى أفقرتها حروب الثلاثين عاما • وفى عام ١٦٨٢ جاءته فرصة الانضمام ، فقــد أوفــده الملك الشــاب شــارل الحادى عشر ملك السويد الى بلاد فارس كمحاولة لاقناع الشاه فى القيام بحملة ضــد الأتراك •

وبذلك تمكن فى سن الواحــدة والثلاثون أن يبدأ رحــلة استكشافية كان مستعدا بها غاية الاستعداد نتيجة لدراساته • وخرجت البعثة السويدية يوم ٢٠ مارس ١٦٨٣ حيث اتجهت

أولا الى زيارة البلاط الملكى فى موسكو ومن ثم أبحرت بعد ذلك الى بحر قزوين ممتطيا السفن على طول نهر الفولجا حتى وصلت أسترا كان فى شهر نوفمبر ١٦٨٣ • ومكثت البعثـــة عشرون شهرا كاملة فى البلاط الملكى الفارسى فى أصـــفهان دون أن تحقق الغرض من الزيارة •

أمّا بالنسبة لكامبفر نفسه فقد سنحت له الفرصة خلال تلك الاقامة الطويلة لدراسة عادات كل من البلاط الملكى الفارسى وكذلك عادات الفرس وبلادهم بصـــفة عامة كما قام بتسجيل كل ما رآه فى يومياته والتى كان قد بدأها منذ بداية الرحلة • وخلال اقامته تعلم كلا من اللغتين الفارسية والتركية • وعندما وصـــلت الأنباء عن وجود أســطول هولاندى فى الخليج كان ذلك الأمر حافزا لكامبفر ليترك البعثة السويدية وينضـــم الى الأسطول الهولاندى فى وظيفة طبيب السفينة بهدف الابحار الى رحـــلة استكشافية الى الهنـــد •

وكان عليه أولا أن يتحمل ستة أشهر فى بنـــدر عباس المعروفة حينئذ بجوها المميت قبل أن يتمكن يوم ٣٠ يونيـــو ١٦٨٨ من الابحار الى كل من الهند وجاوا واليابان والتى عاد منها الى المانيا فى نهاية عام ١٦٩٤ •

وكان كامبفر تعيس الحظ فى محاولاته نشر مذكراته عن رحلاته • فلم ينشر سوى مجلد واحد عام ١٧١٢ من أصل خمسة مجلدات كان قد خطط لنشرها • الا أن هذا المجلد وحده كان كافيا لتثبيت سمعته كرحالة قام باستكشاف كل من بلاد فارس واليابان •

ومن بندر عباس اتجهت السفينة الهولندية الى مسقط كميناء تال فى الرحلة • وفى يومى ١٤ و ١٥ يوليو ١٦٨٨ لم يتمكن القبطان من ربط السفينة فى الميناء وأخيرا دخلوا البلدة يوم ١٦ يوليو • وفى يوم ١٧ يوليو أبحروا من مسقط وباستخدام الرياح التجارية عند رأس الحد وصلوا سريعا نسبيا الى الهند • وبذلك لم يتوفر لانجلبرت كامبفر سوى يوما واحدا للقيام بكتابة مذكراته ورسم صوره عن مسقط •

ان يوميات كامبفر (لوحة ٣٧) تعتبر أساس ما ننشره هنا من ترجمتها الانجليزية والتى قام بها ك • ه فريسين • وقد كان المخطوط الأصلى مختلطا بالاصطلاحات الفارسية والكتابات العربية علاوة على الكلمات اللاتينية •

وعليه فقد قام ك • ماير — لجو بتنقيحها (١٩٦٨ : ١٤٦)

مما جعل قراءتها أسهل مما كانت عليه فى السابق • وتحتفظ المكتبة البريطانية بنسخة أصـــلية من احـــدى رسومات كامبفر عن مسقط (مجموعة سلون رقم ٢٩١٠) •

هذا ، وان صور كامبفر المحفورة فى
Amoenitatum Exaoticarum
والتى طُبعت فى هـــذا المقال (لوحات ٣٨ ـــ ٤٠ ب) ، هذه الصـــور المحفورة قد أُخِذت من كل من هـــذا المجلد وأيضـــا من صور أخرى مجهولة (المرجع ، كامبفر : المرجع السابق) •

يوميـــات كامبفر :

ترجمة من أعمال ك • ماير ـــ لجو (١٩٦٨) وقد وضعت تعليقاته بين الأقواس •

فى اليوم الرابع عشر وصلنا فى الليل الى خليج العاصمة العربية مسقط (يطلق عليها كامبفر أيضا اسم مسجت ـــ مع تعطيش الجيم) • ومن الصعب التعرف والاستدلال على مدخل الميناء وذلك لضـــيقه كما ان هناك عـــدد من الجروف ذات الارتفاعات الواحـــدة والتى يجب تفاديها نظرا لوجود عـــدد كبير من الجزر الصخرية الصغيرة •

ولقد تطلب الأمر منا عناية فائقة حتى تمكنا من الاستدلال على المدخل • وقمنا بالتوجه بالسفينة نحوه وكان فى امكاننا الوصــول الى الخليج لولا أن غروب الشمس أجبرنا على احترام عادات العرب فى عــدم دخــول الموانى بعــد غروب الشمس • وعليه لم يكن لدينا سوى ارساء الســفينة خارج المينـــــاء •

وعند سفوح هــذه الجروف لم نجــد مياها تصــلح للرســو أعمق من ٣٠ قامة(١) • وحيث أنه كان من المستحيل علينا أن نرسو عند هــذا العمق فقد قمنا بالتهادى بالســفينة لمسافة تزيد على نصف ميل (٢) حيث اضطررنا على الرسو عند هــذا العمق حتى لا نضطر الى الانجراف الى مسافة أبعــد من ذلك •

وفى يوم الخميس ، وهو اليوم الخامس عشر ، قمنا برفع المرساة فى وقت مبكر حتى يمكننا اكتساب النصف ميل الذى خسرناه فى اليوم الســابق •

الا أننا لم نتمكن من ذلك قبل حــلول الظلام مهما حاولنا فى الدوران بالسفينة لمسافات قصيرة فى وجه الريح •

وعليه فاننا لم نتمكن مرة أخرى من دخول الميناء واضطررنا الى القاء المرساة عند مدخله وعلى بعد عشرين خطوة من الصخرة التى تقع الى اليمين من الميناء •

وعندما حاولنا رفع المرساة مرتين على الرغم من الظلام وقمنا بالاقتراب من البرج الأول (المرجع ، رونديل) تلقينا انذارا على صورة طلقة مدفع قوية أجبرتنا على البقاء حيث نحن • وعليه توقفت محاولاتنا وباتت السفينة عند مدخل الميناء •

وفى يوم الجمعة وهو اليوم السادس عشر قمنا فى أول ضوء بالتوجه الى البلدة فى زورقنا وأمرنا السفينة بمتابعتنا ثم قمنا بتزويد السفينة بالمياه العذبة وهو الهدف الرئيسى لزيارتنا لتلك المدينة •

وبمصاحبتنا لكل من شيفر ومولر وقسيس السفينة (١٨٩) قمنا بالتعرف على رجل أرمنى عجوز اسمه جودشا هافانز وهو تاجر غنى مصاب بالشلل الذى كان قد فشل فى رحلته من شرات (١٩٠) الى المخا (١٩١) نظرا لسوء الأحوال الجوية

واتجه الى مسقط فى حماية العـلم الهولندى وبقيادة قبطان هولاندى حتى يتمكن من اصلاح سفينته المعطوبة واستبدال السوارى المفقــودة •

ولقــد دعانا الى الاستضــافة فى منزله المبنى بالحجر وأكرم وفادتنا لمدة يومين وخاصــة فى يوم السبت التالى — يوم ١٧ يوليو عندما لم يمارس الصــوم وسُمح له بتناول اللحوم مع أخوته الأرمن وخدمه • وقمنا برد دعوته واستضافته لنا بدعوته لقضــاء طوال بعد الظهر على سفينتنا وبصحبته اثنان من البحارة الهولنديين حيث كان أحدهما مسئولا عن سفينة مجهولة من موريتانيا (١٩٢) وهى تحت حماية العلم الفرنسى • وللتعبير عن امتناننا اكرمه قمنا بتوديعه بطلقتين من طلقــات مدفعنــا •

ويُعتبر هــذا الخليج هو أجمل ما يمكن أن تجــود به الطبيعة من جمال بأى شــكل من الأشكال • وهو محاط على شــكل نصف دائرة بسور عالية وشديدة الانحــدار ، وقــد أقــام بهــا البرتغاليون الكثــير من الاســتحكامات وأبراج المراقبة (١٩٣) وجميعها مدهون بالجير الأبيض كنوع من الزينة كما وانها جميعها مجهزة تجهيزا متشابها • وعلى الرغم من ان

هـــذه الحيطان تبدو هشـــة كالورق وانها بكل تأكيد لا تمثل حصـــونا حقيقية •

الا أنها تؤدى الغرض بابقاء الأعـــداء خارج الميـــاء • وتنتابنا الدهشـــة عن كيفية قيام هؤلاء القوم برفع تلك المدافع الى أعلى تلك الصـــخور الشديدة الانحـــدار والتى يستحيل تسـلقها •

ويبلغ عرض الخليج ما بين ١٠٠ و ١٥٠ قامة ، ونعنى أنها من نهاية الجرف الشمالى الى الجرف البارز فى الجنوب ، الا أن المســافة ما بين الميناء الى المدينة تبلغ حوالى ٢٥٠٠ قامة وذلك طبقـــا لتقديراتى بالاضـــافة الى تقدبرات الآخرون • وقاع الخليج أرض صـــلبة ويبلغ عمقها ما بين ٦ الى ٧ قامات •

ان مدينة مسقط محاطة من كل جانب بالجروف والجبال وتطوقها أسوار جميلة وحسنة التنسيق • وانتا نشاهد كيف ان السور الشرقى والذى يصـــل الى مياه الخليج وبه فتحة تؤدى الى هـــذا الخليج ، نرى هـــذا السور الذى تغسله مياه البحر يجرى الى أعلى الصـــخور وبذلك يضـــيف متانة الى تلك التـــلال الصـــخرية •

والقسم الشمالى للمدينة محمى أيضـــا بسور يتصاعد الى أعلى مع التلال • وشاهدنا على الشاطىء احـــدى الوديان الصغيرة الخضراء والتى يعيش فيها الصيادين فى أكواخ صغيرة والعـــديد من الزوارق ، وقمنا بارساء سفينتنا فى هـــذا المكان ليـــلة واحـــدة •

وفى مواجهة الجانب الجنوبى من البلدة توجد منطقة شبه دائرية تكاد أن تكون جرداء وأرضـــها خشنة وصخرية علاوة على وجود صخور وشـــعبا مرجانية والقليل من أشجار السمر
Acaciae loti spinosi, may be a species of Diospyros
وبعض الآبار لشرب الماشية وبعض المنازل الصغيرة •

كما وأن البلدة محاطة بجبال قاسية مما يعنى أنه لا يمكن الوصـــول اليها الا على ظهور الحمير • وعند النقطة الى تقع فيها أضيق ثغرة فى تلك الجبال يوجد حصن أو برج مراقبة وهو يبعد ما بين ثلث أو نصـــف ميل من بوابة المدينة • وعلى نفس المسافة وخلف التل الأول فان مياه الشرب يجرى تجميعها ثم توجيهها خـــلال قنوات الى البلدة حيث تتجمع فى خزانين ومنها تقوم رأسا بتزويد السفن والعربات بالمياه • وهـــذا أمر مناسب جـــدا للسفن التى تدخل الميناء لغرض التزود بالمياه

من حيث ان مياه نابام (١٩٤) مالحة كما هو الحال عليه على طول الساحل الفارسى فيما عـدا كونجـو (كنج ـ ١٩٥) والبصرة (١٩٦) •

أما بالنسبة لمسقط فان مياهها صافية وعذبة ، واذا لم تخنى الذاكرة كان علينا أن ندفع مبلغا قدره روبية واحـدة أو ٤ محمديه لنصف ليجير (١٩٧) • ولقد تقدمنا بطلب الميـاه فى الصـباح الباكر الا انه كان علينا أن ننتظر حتى الظهر حتى تصـلنا المياه اذ أبلغنا القوم ان خزانى المياه كانا فارغين وكان لابد من الحصـول على أمداد للمياه من التلال •

وتتوفر للبلدة أحسن ما يمكن من الحماية بسبب وجـود حصـنين كبيرين على الجرف المشرف على الخليج على جانبى الميناء • ويوجد أعلى احـدى هاذين الحصنين بناء يشبه القلعة ، كما يوجد مسجد قيل لنا عنه انه كان فى غابر الزمان كنيسة للعرب المسيحيين •

وأما الجزء الشمالى للبلدة وهو يواجه الميناء فان به أسوارا منخفضـة وسميكة وعليها على بعد أقـدام قليلة من بعضـها

البعض مدافع حديدية ثقيـلة • وتوضـح رسـوماتى هـذه المدافع (١٩٨) •

ويبدو ان البلدة كانت مختلطة الحابل على النابل مثلها فى ذلك مثل بندر عباس • الا أن الفضل برجع للبرتغاليين لتنظيمها بعض الشىء • وكان يسكنها الى جانب العـرب سـكانا من البانيـان (١٩٩) علاوة على اليهود •

وكان هناك أيضا رجلا انجليزيا كممثل مقيم لشركة جديدة الا أنه كان على وشـك الرحيل نظرا لخطورة التيارات البحرية وسـوء الأحوال التجارية وكان ينوى العودة الى بلاده عن طريق اصـفهان • وكانت تجارته فى البخور وأنواع الصـمغ الأخرى • ولقد كان رجلا صغير الحجم وممتلئا حيوية ونشاطا ولم يقلل أبدا من الاحترام الذى أكنه دائما لأفراد شـعبه •

وجزء من منازل المدينة عبارة عن أكواخ (٢٠٠) تغطيها سعف النخيل الا انها أنظف وأجمل وأحلى بما تتضـمنه من أحواش صغيرة عن مثيلاتها فى الخليج •

ومن جانب آخر هنـاك أكوام من التراب والأنقاض •

كذلك من ناحية أخرى أيضا — وهى الغالبية من المنــازل — توجــد منازل مبنية من الحجر وهى متسعة وذات تهوية كافية • ومن تلك المنازل البارزة ، منزلا ايطاليا جميلا والذى استخدمته الحــكومة البرتغالية كدير للجزويت • وفى العصر الحــالى يستخدم كمخزنا للبضــائع كما يستخدم أيضا مقرا للملك أو الامام والذى يزور البلدة كل ثلاث ســنوات •

كما توجــد كنيسة أوروبية أخرى ذات ســقفا عالية • وتستخدم هذه الكنيسة أيضا كمخزن للبضائع • ويمكن مشاهدتها من خــلال شارعين ضيقان • وقد غطى السوق منطقة متســعة وكانت شوارعه اما مغطاة بالكامل أو مغطاة جزئيــا وهــذه الشــوارع أمــا متقاطعــة أو متوازية • وكانت الســوق مزودة تزويدا كافيا بالحرير النقى أو الشبه نقى وأقمشة التيل والتوابل والصــمغ والقهوة والمؤن ، علاوة على ثمار المانجــو الكبيرة والحــلوة (٢٠١) وهى أحلى وألذ ثمار مانجو ذقتهــا على الاطلاق فى الأراضى الهندية • وقمت بشراء ١٠٠ من ثمار المانجو مقابل واحد محمديه الا انه سرعان ما غلى ثمنها عندما وصــل زوار آخرون من الأجانب ••

كما يوجــد الكثير من البلح الحــلو المذاق سواء الطازج

أو المتبقى من العام المنصرم • وقمت بشراء زكيبة كاملة من هـذا الرطب حتى يمكن لبحارة السفينة مشاركتى فى التمتع بأكلها وكانت حمولة الزكيبة هى أقصى ما يمكن لأحد الأهالى حمله كما قمنا بملىء برميلا كاملا على الشاطىء • وقد كلفنا ذلك كله ١١ محمديه بما فيـه ثمن الرطب وأجـرة الفرد من الأهـالى •

كذلك عثرنا فى السوق على ليمون حمضى صـغير الحجم وكانت كمية منه يبلغ ثمنها واحـد محمديه أولا ثم غلى ثمنه بعد ذلك ليصبح ٢ محمديه أو أكثر • هـذا ، وكانت هناك وفرة من البصـل والثوم •

وكانت هناك بضائع أخرى فى السوق : عنب أحمر وأبيض وهى أرخص من عنب كنجوم وأكثر عصـيرا علاوة على الموز والعنبر (٢٠٣) والتين (٢٠٣) والبيذام الأحمر (٢٠٤) وورق الموز •

هـذا ، ولم نجـد فى السوق الا القليل من الزبد والقليل من الدجاج على الرغم من ان تلك البلاد غنية بهـذه الأصناف علاوة على الخراف والماعز والماشـية كما وانهـا تتمتع بنفس الأسعار المناسبة مثل ما تتمتع به بلاد جمرون • وجميع هـذه

المنتجات يحضرها القرويون الى المدينة عن طريق البحر أكثر مما يحضرونها عن طريق البر •

وفى تلك الأثناء كان ابن الحاكم السابق هو المسئول عن الادارة وهو شاب يبلغ من العمر حوالى خمسة وثلاثين عاما وهو رجل متدين ولقد طلب منى مساعدته حيث انى الوحيد ضمن المجموعة الذى يتحدث باللغة الفارسية ، وسألنى بنفس الطريقة التى يسألنى فيها أصدقائى الهولنديين الأوفياء عن حالة ونوايا الأسطول البرتغالى الذى وصل الى كنجوم • ولم يكن قلقا على مصير البلدة نفسها حيث كان هناك ما لا يقل عن مائتى جندى يقومون بتدريباتهم مساء كل يوم أما كل على انفراد أو فى جماعات ، الا أن قلقه كان منصبا على القرى القريبة من المدينة والتى يمكن مهاجمتها وتدميرها بواسطة المعتدين • وفى هذه المرة كان ابن الحاكم السابق المذكور أعلاه مصطحبا خمسة أشخاص وكانوا جميعا جالسين فى غرفة فى الطابق الأول •

وكما جرت عليه العادة فانه أبقى سيفه بجواره فى حالة استعداد ، كما قدّم لضيوفه القهوة والفاكهة والحلوى • غير أن

فى زيارتى له فى اليوم التالى لم أجـــد عنده سوى غلامين كما وان الحارس اختفى لمدة ساعة من الزمن باحثا عن مترجما من البانيان • وأثناء ذلك جلسنا فى صمت ينظر كل منا الى الآخر : أما فيما يتعلق به فقد كان منبع خجله أنه كان قد استيقظ لتوه ولم يجـــد الفرصة ليلبس ويتزين كما يليق بشخص فى مثـــل مركزه الاجتماعى وأما خجلى فكان منبعه حيث اننى اضطررت للانتظار تلك المدة الطويلة ولسبب لا يعدو البحث عن اثنين من البحارة اللذين هربا من الســـفينة صباح نفس اليـــوم وهو لا يستطيع المساعدة فى هـــذا الشأن أكثر من البحث عنهم فى الشوارع • ولم يكن هناك أملا كبـــيراً لمثل هـــذه الاجراءات نظرا لاقتراب حلول الظـــلام وقرب رحيلنا • وعلى أى حـــال كانت هـــذه أقواله فى هـــذا الشـــأن •

وأطلق حاكم هـــذه البلاد على نفسه اسم ـــ ابن العرب ـــ وهـــذا دليل على شرعيته وشرعية أملاكه • وهو يقطن بلدة نزوى (٣) والتى تقع على بعد أربعة ساعات من مسقط فى اتجاه ظفار والأخيرة على بعد سبعة أيام بالقوافل من نزوى • وقد أبلغنى خدمه انه لا يخشى أى مخلوق فى العالم • وقد علمنا انه قـــد قام بأسر ابن المغول الأعظم ، السلطان أكبر والذى

كان قـــد هرب من الهند ولجأ الى مسقط وانه (أى الحاكم العربى) قد أسر ذلك الابن بهدف اعادته الى أبيه السلطان(٤) • وقـــد أبقاه معتقلا فى قرية فى داخل البلاد بعيدا عن بلاطـــه الملكى ودون أن يتفضـــل عليه بالمقابلة الا" انه أرســـله الى رسول ملكى فارسى عندما وصل الأخير وسأل عنه •

وان الأهالى لمؤدبون فأثناء الحديث وخاصة أثناء المناقشة فى أمور التجارة والمـــال فالجميع يصيحون حين يحلوا لهم ذلك وبالاضـــافة الى ذلك فان الشباب الغير متعـــلم منهم يسكتون الجميع بأصـــواتهم الأكثر عـــلوا •

وأما فى داخل المنازل فان الحديث أكثر احتراما بل وأيضا أكثر تمدنا الا انه أعلى من أصـــوات الفرس •

وعندما يسافر المرء ليلا عبر الخليج فانه يمكنه أن يميز القرى بالضـــجيج الصادر منها بسبب العويل الذى سُمع أحيانا طوال الليل • وعلى العكس من ذلك فى بلاد الفرس فان المرء يمكنه أن يسافر ليلا دون أى يشعر بوجوده أى من البشر •

وأهالى تلك البلاد يتميزون باللون البنى والنحافة ووجوههم

طويلة ولهم خدود داخلة وأنوفهم طويلة وعالية ورفيعة كما وان شعرهم أسود ولهم لحى طويلة ورفيعـــة وذات أطراف حادة علاوة على أنهم ذوى طول متوسط • ولباسهم عبارة عن جلباب فضفاض وطويل مصـــنوع من التيل وحزام حـــول الوســـط كما وأن للجلباب أكمام طويلة الا أن ملابسهم هذه فضفاضة وأحـــذيتهم عبارة عن نعال من الجـــلد مثبتة بحـــذق على أقـــدامهم العارية بواسطة أشرطة من الجلد • وتلتف حـــول رؤوسهم عمامات من قماش طويل أبيض اللون تتدلى أطرافه من الرأس • وســـيوفهم الطويلة للغـــاية يحملونها اما على ظهورهم أو على أكتافهم بطريقة عشوائية وكثيرا ما يلبســـون خنجرا على أجنابهم (٢٠٦) • وجميع أسلحتهم قديمة الطراز • فبنادقهم طويلة مثل بنادق الفرس • واذا لم تخنى الذاكرة فانهم يحملون بنادقهم مثبتة فى أحزمتهم وخارج الجلباب •

وكان الجنود يبدون ذوى ولاء ورجـــال قرية ملتحين أو رجال دين أكثر مما كانوا يبدون جنودا محترفين • ولقد جاءنا هـــذا الانطباع نتيجة لمشاهدتنا تمرينا بالبنادق كان يجـــرى ببطىء وعلى درجة عالية من الاحترام كأنما الغرض من التمرين هو القتال من أجل كرامتهم واحترامهم •

وأما فيما يتعلق بوصــف الساحل فان الساحل الغربى الذى قمنا بزيارته والذى يمتد من جلفــار الى المكان الذى ينحنى فيه الى الجنوب الشرقى — ان هــذا الساحل عبارة عن تلال وعرة بنية اللون حجرية التكوين وفى غالبيتها عارية ومهجورة • وبعد ذلك فان التلال تمتد بعيدا الى الداخــل حيث تكون المسافة بينها وبين البحر ســهلا لطيفا منخفضــا يغطيها القليل من الشجيرات والأشجار بها بعض القرى والقلاع القديمة كما تـوضح خريطتى عن البحار العربية • وبعــد ذلك تنحسر التلال من الداخل فى اتجاه الساحل وبالفعل فان مدينة مســقط تقع ما بين مثل تلك التــلال •

وبعد مغادرتنا هــذه البلدة لم نرى شىء سوى بعض القرى الأصــغر مساحة وبعض السهول • وقــد تمكنا من الاقتراب من هــذه الشواطىء الى مسافة تقرب من حــوالى ١٠٠٠ خطــوة دون أن نكتشف عمقا يقل عن ٢٧ قامة وذلك حتى كابو راسلجاتو (رأس الحــد) •

وفى يوم الخميس (٥) الموافق ١٧ يوليــو أبحرنا مرة أخرى قبل غروب الشمس مع هبوب ريح متوسطة الشــدة فى اتجاه الجنــوب — الشرقى • وبعــد عــدة أيام مررنا

بكاب كارناتو على بعد سـبعة أميال من مسقط وراعينا أن يكون خط سير السفينة على بعد ميل ونصف الميل من الساحل العربى حيث شاهدنا زيادة فى الخصوبة لم تتعدد الأشجار الغير مثمرة •

ملاحظـات للمؤلف :

(١٨٩) وهم أفراد لم يجيء ذكرهم فى أى مرجع آخر •

(١٩٠) سورات ، ميناء على السـاحل الغربى للهند ، مركز انجليزى للتجارة •

(١٩١) مخـا ، ميناء يمنى هام على البحر الأحمر •

(١٩٢) موريتانيا ، الأسم القـديم لمراكش •

(١٩٣) قام البرتغاليون ببناء حصونهم فيما بين عام ١٥٠٧ وعـام ١٦٤٨ •

(١٩٤) نابام ، مكان يقـع الى الخليج ولا يبعد كثـيرا عن بنـدر عباس • الا أن كامبفر (١٧١٢ : ٧٦٢) يقول بأن الموقع يمكن التعرف عليه بمينائه •

(١٩٥) كنج ، ميناء الى الغرب من بندر عباس •

(١٩٦) البصرة تقع الى الجنوب من التقاء نهـرى الفرات ودجـلة •

(١٩٧) ليجار واحـد يساوى ٥٧٨ لتراً •

(١٩٨) يبدو أنها قد اختفت وليس لها وجود الآن الا انهـا كانت مذكورة فى

of the Amoentatum Exaticarum : Tabula hydrographica, quam propria Slaboratum industria hic

(١٩٩) بانيان ، اسم شامل لعدد من الأقوام فى شمال وغرب الهنـد يعملون بالتجارة • exhibeo

(٢٠٠) طبقا لما يقوله كامبفر (١٧١٢ : ٧٠١) فان التمر هو ما يعنيه العرب بالنسبة للنخيل •

(٢٠١) Mangifera indica

(٢٠٢) ما بين ١٥٠ لتر الى ١٦٠ لتر •

(٢٠٣) كامبفر (١٧١٢ : ٧٦١) يطـلق على التين اسـم :
Amba vel mangas appellata

(٢٠٤) هل يقصـد الينسـون ؟

(٢٠٥) يشـبه السـكين .

تعليـق :

ان رسومات كامبفر عن مدينة مسقط تعتبر أهم بكثير من وصـفه لها فى يومياته . وبما أنه لا توجد أى صورا مشابهة من القرن السابع عشر فانه مما يثير الدهشـة انها غير ممثلة فى المطبوعات المعاصرة التى تهتم بكل من عمان وبلاد العرب (مثلا ، كتاب بدويك ، ١٩٧٦) بل وان كامبفر نفسه لا يذكر على الاطلاق (المرجع ، فريث ووينستون ، ١٩٧٨) .

ومن المحتمل ان عـدم الاشارة الى هـذه الرسومات انهـا ذكرت بصـدد خريطة كامبفر عن بلاد فارس والملحقة بكتابه عن تلك البلاد .

كما وانه لم يتوفر لكامبفر وقتا كافيا لانجاز رسوماته :

ففى يوم ١٥ يوليو ١٦٨٨ وصـــلت السفينة الى مسقط ولم تكن الرياح مواتية مما اضطرها الى المبيت خارج الميناء نظرا لحـــلول الظـــلام •

ولابد وأن المنظرين للمدينة من البحر قـــد رُســـما فى نفس اليوم (لوحة ٤٠ أ ــ ب) • وأما بالنسبة للمنظر الرائع من جهة البر (لوحة ٣٩) فلم يتسن لكامبفر لرسمه ســـوى يوم ١٦ يوليو وصـــباح يوم ١٧ يوليو •

وأما فيما يتعلق بالمخطوط الأصـــلى والمحفوظ فى المكتبة البريطانية فلا يوجد الا رســـما باهتا يكاد لا يُرى مرسوم بالقلم الرصاص : كما أن الرسومات الأصلية للوحات النحاسية الثلاث المحفورة ــ ان هـــذه الرسومات غـــير محفوظة على الأقل فى هـــذا المجلد من المخطوط •

واذا ما فحصت أقـــدم الأوصـــاف المتوفرة عن مسقط فان هـــذه الأوصاف تهتم أكثر ما تهتم به بتحصينات المدينة عن المدينة نفسها • وهذا ينطبق سواء على مؤلف ريسيندى
Livro do Estado da India of 1935 (Oman, 1979 : 47).

أو مؤلف مانويل جودينو دى ايريديا Atlas de vinte folhas of 1610 (Oman, 1979 : 59). — كذلك ما يبدو أنه نسخة للأخير ، أنونيمو — جواو تيكسيرا البرناز ١ أطلس مخطـوط حـوالى عـام ١٦٤٨ (عمـان ، ١٩٧٩ : ٧٠) • لـوح محفـور هولاندى نشـر فى كتـاب أولفرت دابتّر Beschryving van Asie in 1680 (Oman, 1979 : 68 - 9, Bidwell, 1976 : 195). والذى يعطى فى رأى بعض المؤلفين صورة حقيقية عن الحياة البحرية الا أن ما ذكره عن مدينة مسـقط نفسـها وتحصيناتها فهو مجرد خيال • وهـذا ينطبق أيضـا على لوح محفور هولاندى آخر والذى أُخـذ كلية من المخطوط السابق والذى يسرد نفس التفاصـيل الخيالية الا انها من وجهة نظر أخرى وتبدو كأنما انه يُنظر اليها من خلال التلسكوب (المرجـع ، هـولى ، ١٩٧٧ : ١٨٤ — ١٨٥) (٦) •

وعليه فان رسومات كامبلفر لا تظهر على حقيقة أهميتها الا اذا نُظر اليها بالنسبة الى تلك المخطوطات السابق ذكرها • ونظرا للأدلة المتوفرة فى الوقت الحاضر فان ما تمثله هـذه اللوحات هو الصحيح • ومما لا شـك فيه ان هناك أخطـاء فنيـة ارتكبها عمال حفر اللوحات فى المانيا مثل المنازل على

شـــكل الخيام الموجودة أمام البلدة والتى أطلق عليها كامبفر اسم منازل النخيل وهى التى بنيت من جذوع النخيل •

وهناك دليل قاطع عن صـــحة ما جاء فى اللوحات فيما يخص المبانى ألا وهو ما يخص أســـوار المدينة • فان تلك الأسوار تتبع اليوم نفس مسارها عام ١٦٨٨ (المرجع ، هولى ، ١٩٧٧ : ١١٤) • كما وان عـــدد الأبراج ظل على ما هو عليه حتى اليوم وكذلك التغير المفاجىء نحو الشرق الى الجنوب من البـــاب الكبير •

كما يصـــف كامبفر الانحناء الذى يكاد يكون عمـــوديا للسور فيما بين البرج الى الشرق من الباب الصـــغير وبين البرج الأخـــير •

ولقـــد لاحظ جى • ستروس فى عام ١٦٨٤ ان البلدة كانت فيما مضى مفتوحة وان سورا ترابيـــا كان قـــد أقيم لأول مرة (٧) والتى أضـــيف اليها فيم بعـــد بعض الأبراج البرتغالية ثم أقيم أول سور عـــام ١٦٢٥ (٨) الا انه يجب القول أن عـــدد بوابات المدينة هو عدد غير واضـــح فى وصف كامبفر ورسوماته • فبينما لا يذكر ويلستيد سوى بوابتين

اثنتين فى عام ١٨٣٧ (٩) فان بوابة واحـــدة يمكن بكل تأكيد التعرف عليها فى النقش الذى عمله كامبفر وهو فى المنزل الذى يقع على الموقع الحالى لباب المتاعيب • وعليه ، فان ما عدا ذلك من البوابات قد تغير بمرور الزمن •

وفى أيام كامبفر فان تعـداد سكان مسقط كان يقل عن عشرة آلاف على وجه التقريب (قـدِّر عدد السـكان فى عــام ١٧٩٣ : ٢٥٠٠٠) (١٠) ، وفى عــام ١٨٢١ : ما بين ١٠٠٠٠ و ١٢٠٠٠ (١١) • وكان هناك مسجدان فى المدينة (١٢) وعـــدد قليل من المنازل التى يزيد ارتفاعها عن طابق واحد وهو أمر يبدو انه لم يتغير لزمن طويل •

وكانت أغلب المساكن من سعف النخيل كما كان الحال عليه فى عام ١٦٢٥ (١٣) • وفى وقت زيارة كامبفر فى عام ١٦٨٨ كانت مثل هــذه المساكن فى قلب المدينة نفسها فى المواقع التى كانت بهـا ملاّحات فى عام ١٥٠٧ (١٤) • وقد ذُكِرت هــذه الضاحية التى تتكون من سعف النخيل فى عام ١٨٣٠ بواسطة جى • إس • بكنجهام (١٥) ، وفى عام ١٨٢٣ يقول و• ف • أوين (١٦) : كان فى الاعتبار ان هــذه المبانى الهشــة سوف لا توفر للمعتدى أى ملجأ فى حالة الصراع المسلح • واما خارج

أســـوار المدينة فى عام ١٨٢٤ ، فلم يسكنها غير العبيد من الأحباش وأيضــا البـــدو (١٧) حيث انه فى تلك الأوقات لم يسمح سوى للعرب ، والبانيان بالسكنى خارج المدينة (١٨) ٠

قام بالترجمة من الألمانية كل من أ ٠ ترنر و م ٠ ستريت)٠

ملاحظـــــــات :

(١) القامة = ٨٥و١ متر (٦ أقدام) ٠ كانت القامة البروسية التى أستعملت قبل عام ١٨٦٠ = ٨٨٣و١ متر ٠

(٢) يتراوح الميل البحرى ما بين ١٦٠٠ متـــر و ١٨٠٠ متر طبقــا للدولة ٠ ولا يعـــرف المقياس المضـــبوط الذى استخدمه كامبفر ٠

(٣) نزشار : لابد وانه يعنى نزوى ٠ والمسافة أربعة ساعات خطأ ولا شك انه كان يعنى أربعة أيام ٠

(٤) كامبفر (١٧١٢ : ٥٣) يقول ان السلطان أكبر وهو الابن الثالث للمغول الأعظم أور انجسب ، كان قـــد فر لاجئا

الى ملك الفرس وهو الملك سليمان حتى يفلت من بطش أبيه ووصـــل الى بلاد العرب أوائل عام ١٦٨٧ ٠ وفى يوم ٢٤ يناير ١٦٨٨ استقبله الملك سليمان بكل احترام (المرجع السابق ٢١٢) ٠ وقد أفاد تقريرا فرنسيا عن دخوله المدينة ونعنى مسقط (المرجع ، المتحف البريطانى ، مجموعة ســلون ٢٩١٢ : ١٦ — ١٩) ٠

(٥) كما يقرر كامبفر فان هــذا اليــوم يجب أن يُصَحح ليكون يوم الســبت ٠

(٦) بكل أسف لا يوجــد أى اشارة للكتاب الأصلى ٠

(٧) ج ٠٠ ستروز (بدويك ، ١٩٧٨ : ١٢٩) ٠

(٨) بيترو ديللا فالى (بدويك ، ١٩٧٨ : ١٢٧) ٠

(٩) ج ٠ ر ٠ ويلستيد (بدويل ، ١٩٧٨ : ١٤٧) ٠

(١٠) ج ٠ ل ٠ دبوا (بدويك ، ١٩٧٨ : ١٣٦) ٠

(١١) ج ٠ ب ٠ فريزر (بدويك ، ١٩٧٨ : ١٤١) ٠

(١٢) أ ٠ د البوكيرك (بدويك ، ١٩٧٨ : ١٢٤) ٠

(١٣) بييترو ديللا فالى (بدويل ، ١٩٧٨ : ١٢٧).

(١٤) أ . د البوكيرك (بدويل ، ١٩٧٨ : ١٢٤) .

(١٥) جى . س . بكنجهام (بدويل ، ١٩٧٨ : ١٣٩) .

(١٦) و . ف . و . أوين (بدويل ، ١٩٧٨ : ١٤٢) .

(١٧) هـ . ج. كيبيل (بدويك ، ١٩٧٨ : ١٤٣) .

(١٨) و . ملبورن (بدويل ، ١٩٧٨ : ١٤٣) .

المراجـــــع :

REFERENCES

Bidwell, R. 1976. Travellers in Arabia. London.

1978. Bibliographical notes on European accounts of Muscat 1500 - 1900. Arabian Studies 4 : 123-59.

Bowers, J. Z. 1966. Engelbert Kaempfer : physician, explorer, scholar and author. Journal of the History of Medicine and Allied Sciences 21 (3) : 237-59.

Freeth, Z. & Winstone, V. 1978. Explorers of Arabia from the Renaissance to the Victorian Era. London.

Hawley, D. 1977. Oman and its Renaissance. London.

Hinz, W. (Ed.) 1977. Engelbert Kaempfer : Am Hof des persischen GroBkönigs 1684 - 1685. Tübingen/Basel. (German translation of selected parts of Kaempfer, 1712).

Kaempfer, E. 1712. Amoenitatun Exoticarum Politico — Physico — Medicarum, Fasciculi V. Lemgoviae.

Meier - Lemgo, K. 1937. Engelbert Kaempfer der erste deutsche Forschungsreisende. Stuttgart.

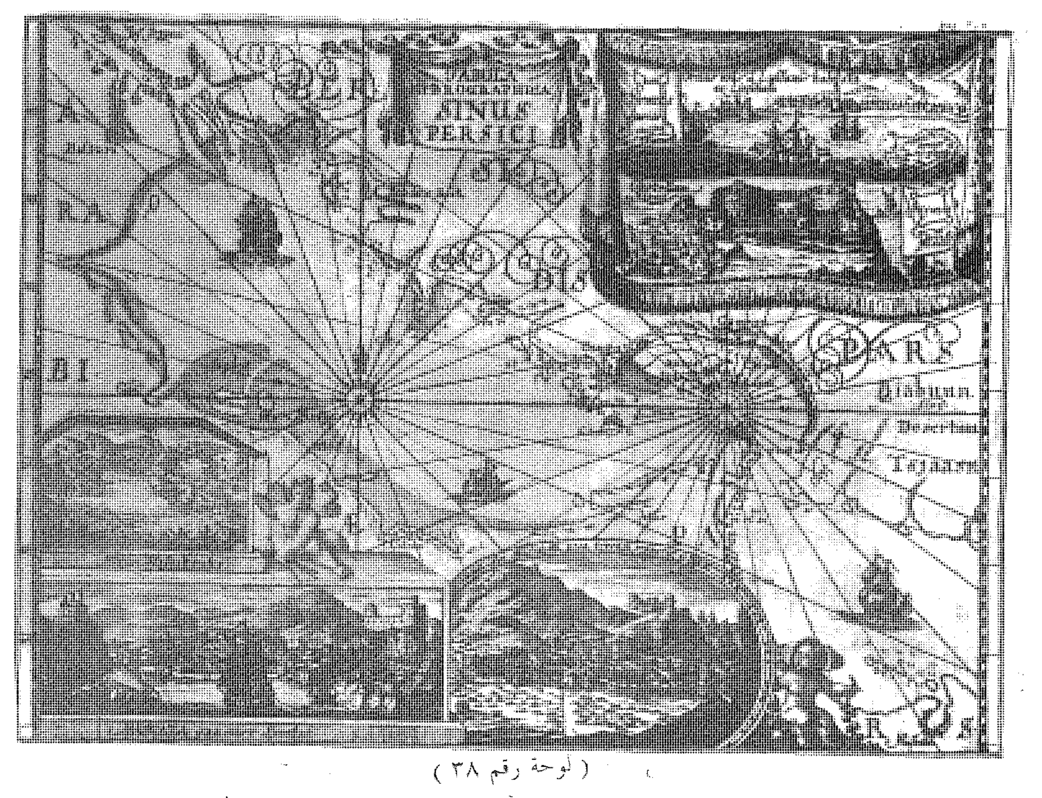
1960. Engelber Kaempfer erforscht das seltsame Asien. Hamburg.

1968. Die Reisetagebücher Engelbert Kaempfers. (Erdwissenschaftliche Forschungen, Bd II). Wiesbaden.

Oman, 1979. Oman - a Seafaring Nation. Muscat : Ministry of Information & Culture.

ننشر فى الصفحات التالية الصور والأشكال المتصلة بهذا البحث مرقمة حسب ما جاء بمتن الكتاب

يوميات كامبفر صفحة ١٤١ (بإذن من المكتبة البريطانية)



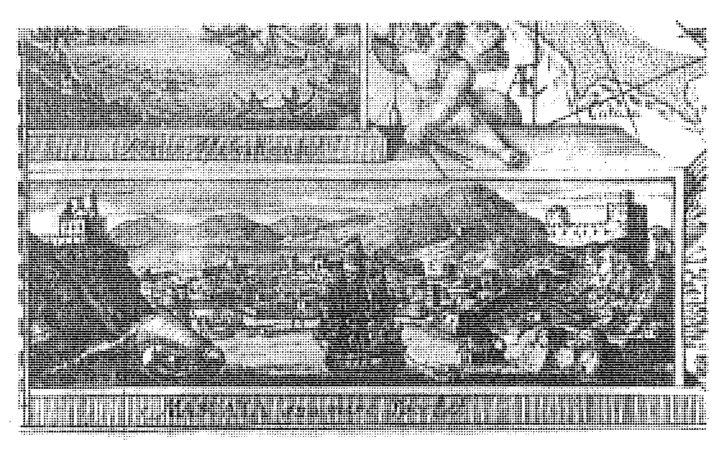
(لوحة رقم ٣٨)

رسم كامبفر عن منظر عام لمسقط (بإذن خاص من مكتبة هرتزوج – اوجست ، ووليفنبيوت)



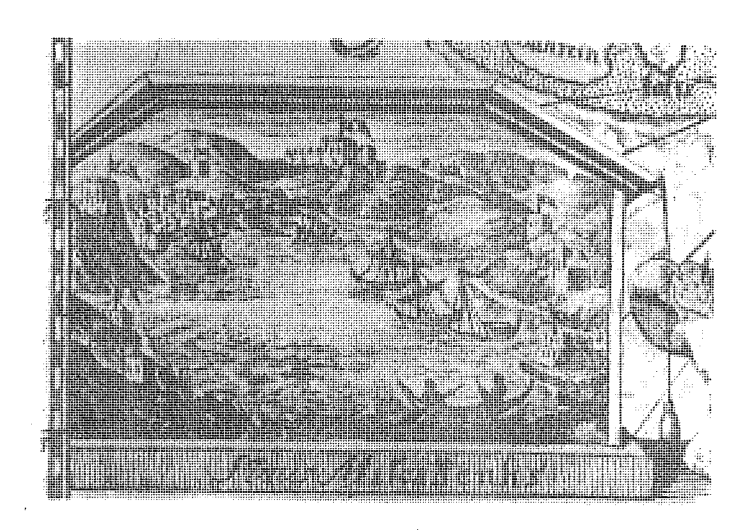
(لوحة رقم ٣٩)

منظر مسقط عام ١٦٨٨ من داخل البلدة . تفاصيل اللوح المحفور رقم ٣٨ . (باذن خاص من مكتبة هرتزوج ــ أوجست ، وولفنبيوتل)



(لوحة رقم ٤٠ أ)

منظر عام ١٦٨٨ من البحر ، تفاصيل اللوحة ٣٨ . (اذن خاص من مكتبة هرتزوج — أوجست — وولفنبيوتل)



(لوحة رقم ٤٠ ب)

منظر مسقط عام ١٦٨٨ من البحر وترى السفن العمانية وهى تسير فى البحر .